وآمنوا من كل قلوبهم أن سياجاتهم هي من صنع الإله القدير ، لا يقوى على اختراقها إنس ولا جن .

لكنها الأيّام ما كانت إلا لتخيب ظنّهم ، كما خيّبت ظنون الكثيرين من قبلهم . إذ أفاقوا يوماً فوجدوا بين ظهرانيهم قوماً من لحمهم ودمهم ، لكنّما عليهم مسحة غريبة . فكلّموهم وإذا بهم يبدون أفكاراً غريبة في أساليب لم تقدسها طقوسهم الأدبيّة وأنظمتهم البيانيّة فصاحوا من ذعرهم : « الفوضى . الفوضى ! »

لقد أصبحت الفوضى « بعبعهم » الأكبر . يروّعون بها كل من ينظم الشعر في غير القوالب التي ينظمون . وكل من يبدي من الأفكار والعواطف غير ما يبدون . ولو فكروا لفقهوا أن ما يدعونه « فوضى » ليس إلا نتيجة لازمة لعلل كثيرة سبقتها . وأنّه مظهر من مظاهر النظام السرمدي الشامل . وأنّه ، وإن يكن خروجاً على أنظمتهم ، ليس خروجاً على ذلك النظام الذي لا متمرّد عليه ، ولا عاصٍ .

أفلا كفوا أنفسهم عناء الولولة والهمّ بما سيحلّ بهم وبلغتهم وأراحوا الأدب ولو قليلاً من « بعبع » فوضاهم ؟

ما عرفتُ لغة ولا سمعت بأمّة قط قضت عليهما الفوضى . بيد أني أعرف لغات تفكّكت أواصرها ، وأسمع بأمم طمست آثارها ، وأدركتها سكتة الموت عندما تحوّل دم الحياة في